خطبة صلاة الجمعة 2024/12/19 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال، في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(وَقُلِ اعْمَلُوا)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة:105].

وقال سبحانه: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ * وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ [هود:121-122].

أخرج الإمام أبو داود عن أبي سعيدٍ الخدري، قال رسول صلى الله عليه وسلم: «**قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ**».

عنوان خطبة اليوم: **(وَقُلِ اعْمَلُوا)**

بعد فرحنا بفضل الله علينا وبما أولى الشام من فتح ونصر، علينا أن ندرك أن البلد تحتاج إلى أمور بها نحفظ هذا النصر ونحرسه، أتحدث عنها تباعاً بإذن الله

أولها: ستحتاج البلد إلى فترة كي تستقر الأمور وتأخذ مجراها الطبيعي.

ثانيها: تحتاج البلد إلى رص الصفوف وتآلف القلوب ووحدة الكلمة.

ثالثها: تحتاج البلد إلى وعي جميع أبنائها وعدم خفتهم.

رابعها: تحتاج البلد إلى همة الشباب وحكمة الشيوخ.

وقد تحدثت عن هذه الأربعة في دروس وخطب الأسبوع الماضي.

خامسها: تحتاج البلد إلى عمل دؤوب وسعي حثيث.

وهو مادة خطبة اليوم.

أيها الإخوة:

إصلاح ما فسد، وبناء ما تهدّم، ورأب ما تصدع، يستوجب عملاً دؤوباً وسعياً حثيثاً من جميع أبناء البلد في الداخل والخارج.

فعجلة الإنتاج تحتاج إلى من يديرها، والمزارع تحتاج إلى من يسقيها، والطرق تحتاج إلى من يشقها ويعبدها، والجسور والأبنية السامقة بحاجة لمن يرفعها، والأسواق التجارية تحتاج إلى من يحركها، والمعامل والمصانع بحاجة إلى عمالها، والجامعات والمدارس بحاجة إلى طلابها ومعلميها، والدوائر العامة بحاجة إلى الشرفاء من موظفيها، والمشافي والعيادات بحاجة إلى من يرعى مرضاها، والإعلام بحاجة إلى الصالحين من رجاله، والقضاء بحاجة إلى المنصفين من قضاته، والمساجد بحاجة إلى مرتاديها... وهكذا فالبلد تحتاج جهود جميعِ أبنائها.

من تعريفات الإيمان أنَّه: ما وَقَرَ في القلب وصدَّقه العمل؛ فالإيمان عمل، والمؤمن فعّال.

ومن تعريفات الإيمان أنَّه: اعتقاد بالقلب ونُطقٌ باللِّسان وعمل بالأركان؛ فالإيمان عمل، والمؤمن فعّال.

وقال كثيرٌ من العلماء: إنَّ الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالعمل الصَّالح، ويَنْقُص بضدِّه، ودَلَّلَ البخاري على هذا المذهب بأدلَّةٍ كثيرةٍ.

وأنتم تقرؤون في القرآن الكريم أكثر من خمسين مرَّةٍ عبارة: ﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا﴾، في دلالةٍ واضحةٍ إلى اقتران الإيمان بالعمل.

فالعمل والبناء بعد التحرير ليس مجرد واجب دنيوي، بل هو عبادة يقوي بها المرء إيمانه ويعمر بها بلده ويتقرب بها إلى الله سبحانه.

كان صلى الله عليه وسلم يستعيذ كل يوم من الكسل وعدم العمل يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل...**» [أبو داود].

وفي هذه الاستعاذة فوائد:

الفائدة الأولى: الفرق بين العجز والكسل: قال ابن حجر في الفتح: الفرق بين العجز والكسل، أن الكسل ترك الشيء مع القدرة على الأخذ في عمله، والعجز عدم القدرة.

فالعجز قَدَر ولكن الكسل اختيار، فاعمل ولا تتكاسل واجهد ولا تتثاقل.

الفائدة الثانية: كان النبي صلى الله عليه وسلم في أقرب ساعاته من الله تعالى ساعةِ الدعاء والمناجاة يستعيذ من الكسل، لعلمه صلى الله عليه وسلم أن هذا الدين دينُ عملٍ لا كسل، ودين قيام لا قعود. قال سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "إني لأمقت الرجل أراه فارغاً ليس في شيء من عمل دنيا ولا آخرة" وقال سيدنا عمر رضي الله عنه: "إني لأكره أن أرى أحدكم سَبَهْللا" لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة.

الفائدة الثالثة: تعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ من الكفر ومن الفقر ومن فتنة المحيا ومن فتنة الممات ومن غيرها واستعاذ من الكسل، وكأن هذا يعدل هذا أو يقاربه.

الفائدة الرابعة: جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين الهم والحزن من جهة وبين العجز والكسل من جهة أخرى، وفي ذلك إشارة بأن العجز والكسل يولدان الهم والحزن، بينما يساعد العمل والجِد في تخفيفهما.

فعلَّة العلل في الأمراض النَّفسية، أن يجلس المرء وحيداً بلا عمل، بعيداً عن النَّاس بلا أمل، أسيرَ هواجسه ووساوسه يكاد يُصاب بالخَبَل.

وأقوى العلاجات تكون في إدماجه بالنَّاس، ومخالطته لهم، وحركته وعمله النَّافع معهم، ولذلك ربط الدُّعاء النَّبويُّ الشَّريف بين العجز والكسل، وبين الهمِّ والحَزَن، فالعمل يُثبت الأمل، والكسل يُورث الضَّجر.

أيها الإخوة:

إنّ خطبة (وقل اعملوا) جاءت لتقول: إنَّك عندما تعمل تثبت النصر وتحرسه، وتتمسك بالفتح وتحفظه، وترضي ربك وتشكره، وتبني بلدك وترفعه.

إنّ خطبة (وقل اعملوا) جاءت لتقول: إنك عندما تعمل تبعث في نفسك الأمل، وتبعد عنك الوجل والملل، وتحيي في نفوس الناس الهمة للعمل.

إنّ خطبة (وقل اعملوا) جاءت لتقول: إذا كان الإيمان عملاً، فقم ولا تتثاقل، وبادر ولا تتبارد، واعمل ولا تتكاسل.

إنّ خطبة (وقل اعملوا) جاءت لتقول: إذا كان الإيمان يزيد بالعمل، والصِّحة تشرق بالعمل، والأمل يكبُر بالعمل، فاعمل لدنياك كأنَّك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنَّك تموت غداً.

إنّ خطبة (وقل اعملوا) جاءت لتقول: إن شـباباً ورجالاً ونسـاء بالفعل قاموا، وبدؤوا العمل فسـاعَدَ بعضهم في تأمين حاجات المشافي، وساعد بعضهم في حماية المنشآت العامة والجامعات، وساعد بعضهم في تنظيف الطرقات ومؤسسات الدولة، وساعد بعضهم في تنظيم السير، وساعد بعضهم في نشر الوعي.

فكن مبادراً واحجز مكانك في العمل.

إنّ خطبة (وقل اعملوا) جاءت لتقول: نفسك إن لم تشغلها بالخير شغلتك بالشَّرِ، والشَّيطان والأعداء يجدون عملاً للأيدي العاطلة لكي تعمل.

إنّ خطبة (وقل اعملوا) جاءت لتقول: ما قاله الحسن البصري: (ما من يوم ينشق فجره إلَّا نادى منادٍ من قبل الحقِّ: يا ابن آدم أنا خلقٌ جديدٌ، وعلى عملك شـهيدٌ، فتزود منِّي بعمل صـالح، فإنِّي لا أعود إلى يوم القيامة).

والحمد لله رب العالمين